٩

النارية

أديث كريسون

كثيرا ما توصف المرأة بأنها عاطفية، وأنها – بالمقارنة إلى الرجل – انفعالية لا تحسن التحكم فى مشاعرها إلى حد بعيد.

فإذا أضفنا إلى هذا الوصف الذى أطلقه الفرنسيون على رئيسة وزرائهم بأنها المرأة النارية Madame de fer لوجدنا أنفسنا أمام هذه المرأة التى استقالت أخيرًا من رئاسة الوزارة الفرنسية بعد أقل من عام (١ مايو ٩١ – ٢ أبريل ١٩٩٢) ولم يمضِ على وجودها كرئيسة للوزراء أكثر من عشرة أشهر ونصف الشهر.

أديث كريسون على العكس من مرجريت تاتشر.

فإذا كانت المرأة الحديدية قد نالت احترام زملائها واستطاعت فى الغالب التحكم فى مشاعرها، فإن كريسون أثبتت – فى النظرة العامة – أنها تأثرت أكثر لتكوينها الأنثوى، وبدت غرائزها المسيطرة على كل تصرفاتها، وهى صفات تتعارض مع صفات من يتحمل مسئولية رئيس للوزراء فى دولة مثل فرنسا.

وهنا تثار قضية هامة، هى، إذا كانت المرأة هى أسيرة مشاعرها فى حياتها الخاصة، فهى هى كذلك، حين تتحمل مسئولية سياسية؟

هل المرأة تختلف عن رئيسة الوزراء؟

سوف نتوقف هنا عند الوجه الأول للمرأة: الأنثى لنرى إلى أى حد عبرت كريسون عن هذا التكوين، قبل أن نصل إلى المرأة الأخرى: المسئولة.

أولاً: المرأة

ابحث عن المرأة

إن محاولة فهم السياسة الفرنسية إبان تولى كريسون رئيسة للوزراء تدفعنا إلى تصديق الحكمة التى تقول: ابحث عن المرأة، لقد كانت علاقة كريسون بزملائها الوزراء تتسم بالضعف الشديد، إنها فى علاقتها بمواقفهم وسياستهم عنيفة صريحة، لا تعترف بأنصاف الحلول، لا تعرف التعبير الدبلوماسى فى التعامل مع الأفراد أيًا كانت مكانتهم..

إنهـا تعلـن مـن آن إلى آخر أنه لا يجـب أن يجاملها أحد قط لكونها امرأة، لأنها مسـئولة مسـئولية سياسية، وحين تتخذ قرارات سياسـية فيتعرض لها البعض من الرجال فإنها تنقلب عليهم بعنف، ذاكرة أنهم يهاجمونها لكونها امرأة وليس لكونها مسـئولة، وقد هاجمها بالفعل عـدد كبير من الرجال سـواء من رجال الأعمـال أم من بين الجبهة العريضـة المعارضة للحزب الاشتراكى الذى تنتمى إليه، أم – حتى – من بين الحزب الذى تنتمى إليه، بل من بين الوزراء فى الوزارة التى تنتمى إليها.

لقد سـلط عليها التليفزيون سـهام نقده إلى درجة أنها هوجمت بعنف من جان أمادو مخرج أحد البرامج التليفزيونية الناجحة، بل إن شارل باسكوا – وهو زعيم يمينى هاجمها بعنف قائلاً عنها: كريسون تساوى صفرًا. وصفرا مثلثا.

ولم تتردد طيلة فترة حكمها بأن تختلف مع الجميع، وتبدو استفزازية إلى حد بعيد، وراحت تسـتخدم مع وزير مرموق مثل جاك شيراك من اليمين المحافظ أسلوب سخرية وتهكم أثارت به الكثير مما حولها.

ويبدو أن كريسـون كانت تدرك أن الأنثى بداخلها كانت أقوى من أى شـىء آخر، ومن هنا فإنهـا حرصت على أن ترتدى دائمًا أفخم الثيـاب، بل لم ترتدِ إلا ملابس ثمينة من بيت أزياء ديـور وتورانت، وكثيرا ما كانت تتجول – منـذ كانت وزيرة للزراعة – بالكعب العالى، وكانت تختـار دائمًا مكياجًا صارخًـا وعطرًا فواحًا إلى حد بعيد، وحين يعرض عليها أحد مسـاعديها الانتقادات المستمرة ضدها فى الصحف كانت تصيح فى غضب:

(إن ما يريدونه هو الذَّكر.. حسنا، فليكن لهم ما يشاءون.. سأتصرف كذكر وليس كأنثى..)

ويبدو أن عقدة (الذكر) كانت تسـيطر على السـيدة كريسـون، فكثيرًا ما كانت تخلق مشاكل معهم، حتى إنها ذكرت فى أكثر من لقاء معها أنها تمنت منذ كانت طفلة أن تكون رجلا، وفى محاولـة لتكـون الأنثى رجلا، فى حين أن تكوينها الفيزيولوجى يحول دون ذلك، فإنها راحت تؤكد أن الأنثى يمكنها الاستغناء تمامًا عن الرجل، فبرغم عبقرية الرجل – خاصة أن التاريخ لم يشـهد عبقريات نسـائية فى الموسيقى أو الفن التشكيلى خاصة مثل الرجل – فإن السيدة يمكن أن تعيش بدون رجل، ولكن كريسون تضيف هنا: (.. إلا فى الحياة الخاصة)..

كانت كريسـون تدرك أن الفارق بين النوعين: الذكر والأنثى، هو المسـئول الأول فى طريقة وجودها وتعلمها مع من حولها، فى حين حاولت أن تهاجم الرجال بعنف – انطلاقًا من العقدة النسائية – فإنها لم تستطع أن تتخلى عن طبيعتها كامرأة..

امرأة عاطفية لا تستطيع أن تتحكم كثيرًا فى انفعالاتها

وإذا كان ذلـك قد ظهـر واضحًا تمامًا فى علاقاتها الداخلية بمجتمـع الرجال والقضايا التى تعرضت لها، فقد بدا أكثر وضوحًا فى علاقاتها الخارجية بالشـعوب حولها، إن كريسـون لم تسـتطع أن تكبح جماح نفسـها فى إبداء الرأى فى قضايا سياسية كثيرة خاصة بالنسبة لشعوب الشرق أو حتى بالنسبة للشعوب الغربية نفسها.

النمل اليابانى :

لم تسـتطع كريسـون التخلى عن تكوينها كامرأة فى علاقتهـا باليابانيين بوجه خاص، لقد هاجمـت اليابانيين بعنف شـديد، وهذا الموقف العنيف مـن اليابان له جذور بعيدة فى تكوينها حتى قبل أن تتولى الوزارة، كانت تدرك أن اليابان قوة اقتصادية عاتية، وأنها تعمل على تدمير مناطق وقطاعات عديدة من الصناعات الفرنسية والأوربية كآلات التصوير والتليفزيونات وأجهزة التسـجيل والعربات.. إلى غير ذلك، وأن اليابان التى توشـك على تدمـير الاقتصاد الغربى كله يجب أن تقلع عن ذلك؛ إذ إن الغرب لن يسمح بذلك أبدًا.

ومن هنا، حين وقفت كريسـون أمام شبكة التليفزيون الأمريكى أى. بى. سى قالت بالحرف الواحد، وباندفاع أنثوى يعوزه كثيرًا من الحرص:

(إن اليابانيين يعملون كالنمل الذى خرج محاولاً غزو أوروبا اقتصاديًّا.. إنهم يعملون كالنمل.. لا نسـتطيع أن نعيش كذا فى بيوت ضيقة. ونمضى سـاعتين كل يوم للذهاب إلى العمل والعودة منـه.. إننـا نرغب أن نعيش كبشـر كما كنا دائمًا وليس العمل فقـط وإنجاب الأطفال كما يفعل الآسيويون واليابانيون الذين هم أقل من مستوى الإنسان الأبيض).

وتصمت كريسون قليلاً قبل أن تقول بانفعال أكثر:

(إن أوربا ستكون حتمًا الفريسة المقبلة لليابان)

أجرى هذا الحديث فى ١٧ يوليو ١٩٩١ وطيلة الأشهر التالية واجهت كريسون هجومًا عنيفًا مـن الجميـع، ليس مواطنيها فقط، وإنما من اليابانيين أيضًا الذين غضبوا بعنف على المسـتوى السياسى والشعبى..

إعدام كريسون :

على المسـتوى الشـعبى قام اليابانيون بالمظاهرات فى شوارع طوكيو وخاصة العمال اليابانيين الذين قاموا بهذه المظاهرات مع غيرهم ضد كريسـون، فشـهدت الميادين اليابانية جماعات من اليابانيين الغاضبين يصنعون دمية لرئيسـة الوزراء ثم يقطعون رأسـها بالسيف غضبًا مما قالته، تعبيرًا عن إعدامها لدى الرأى العام فى اليابان ولم يلبث أن غضب البرلمان اليابانى.

غـير أن الغضـب الأول جاء من ممثـل الحكومة اليابانيـة الذى راح يقـول بغضب وبعنف شديدين:

(الأفضل أن يكون المرء نملة على أن يكون صرصورًا).

وكان معنى قصة النملة والصرصور أن تصبح كريسون صرصورًا.. كيف؟

كان اليابانيون يريدون أن يذكروا بقصة القاص اليونانى القديم: من أن النملة تسـتطيع - إذا عملت - أن تحقق نجاحًا أكثر من الصرصور إذا نام، فالنملة نشيطة تخزن غذاءها بينما لا يفعل الصرصور غير أن يسـكن ولا يتحرك قط لكى يتمتع بأزيز صوته الشـجى، ومن هنا، فإذا جاء الشـتاء يكون النمل قد أعد العدة أثناء الصيف، فى حين أن الصرصور لم يكن قد فعل شـيئًا، فينتظر النمل حياة سعيدة فى حين ينتظر الصرصور حياة يشوبها الجوع وينهيها الموت..

ولا تلبـث أن تعم شـوارع طوكيو - مرة أخرى - المظاهرات التـى لا تكتفى هذه المرة بإعدام الدمية (كريسـون) فقط، وإنما يمثلون بها، قبل سحلها فى الطريق العام، ويطالبوا فى هتافاتهم أن تعتذر كريسون للحكومة اليابانية.. وبالفعل، استدعت وزارة الخارجية الفرنسية سفير فرنسا فى طوكيو لتقديم إيضاحات حول تصريحات رئيسة الوزارة الفرنسية بشأن اليابان..

الشذوذ الغربى:

وإذا كان الشـرق لم يسلم من «سلاطة لسان» كريسـون (أطلقت هذا التعبير النساء الفرنسيات عليها).. فإن الغرب لم يسلم أيضًا من ذلك..

كان هـذا حـين صرحت كريسـون - ولم يمض على رئاسـتها للوزراء أشـهر - بأن الرجال الغربيين لديهم شذوذ جنسى، كيف؟ قالت بصراحة شديدة:

(إن ربع الرجال البريطانيين والأمريكيين، هم من الشـاذين جنسيًا. وحتى الرجال الألمانيين والرجال الفرنسيين؟

هكذا سألت صحيفة (الأوبزرفر البريطانية) فأجابت كريسون بسرعة:

- لا، أستثنى الرجال الفرنسيين.

وراحـت كريسـون تعيد تفسـير مـا قالته مـرة أخرى (لمحطة آى بى سـى فـى منتصف يوليو ٩١):

- إن جذور الشذوذ الجنسى فى التقاليد الأنجلوسكسونية عميقة وليس الأمر كذلك فى التقاليد اللاتينية.

وفـى الأيـام التالية ثارت ثائرة الأمريكيـين والألمان، غير أن الإنجليز كانـوا أكثر غضبًا من غيرهم، لقد أدركوا أن الرئيسـة الفرنسية للوزراء ليسـت لها اهتمامات كبيرة بالوحدة الأوروبية

وإن كانت لا ترفض ذلك، غير أن انتماءها القومى لفرنسا كان يفوق أى انتماء آخر، غير أن هذه الإهانة لم تجد من يفسرها هكذا على النحو السياسى، وإنما وجدت من ينال من أخلاق كريسون نفسها، راحت الصحف تقول:

– هذا لا يليق بكريسون.. إنه كلام رخيص

– الرجل الإنجليزى مخنث، والفرنسى لا، غير أن أكثر التعبيرات عنفًا جاءت من صحيفة (صن) التى تساءلت بقسوة:

– وهل كانت تجارب كريسون مع الرجال البريطانيين هى التى أوحت إليها بمثل هذا الاستنتاج.

وقد دفع هذا كله بالرئيس ميتران الذى يحمل مسئولية كاملة لمجىء كريسون إلى التدخل وراح ينفى عن الشرقيين أو الغربيين مثل هذه الاتهامات التى وزعتها كريسون على الجميع، خاصة اليابانيين، لقد أكد فى نفس الشهر الذى هاجمت فيه كريسون اليابانيين – ٢١ يونيو – أن تصريحات رئيسة الوزراء ليس القصد منها الإساءة إلى اليابانيين وإنما هى تشير إلى قوتهم وطموحهم..

كان على الدبلوماسية الفرنسية أن تسرع إلى رئيسة الوزراء، وتحاول تهدئتها وإثناءها عن سياستها المشاكسة دون جدوى..

بداية السقوط :

ومع أن كريسون ليست وحدها المسئولة عن المصير السيئ الذى وجدت فرنسا نفسها فيه؛ إذ كانت تعانى داخليًا من البطالة وأزمة الأجانب الموجودين فى فرنسا وخاصة العرب منهم، كما عانت فرنسا من ترددها خاصة حين تم الانقلاب على جورباتشوف فلم تحدد موقفًا واضحًا، كذلك، فى الفترة الأولى من حرب الخليج.. وما إلى ذلك.. غير أن تصريحات كريسون المثيرة وهجومها المستمر على الجميع حولها حتى أعضاء من الحزب الذى تنتمى إليه كان واضحًا أكثر من أى شىء آخر..

كانت صورة كريسون نارية المزاج المشاكسة أكثر من صورتها التى سعت بها وخصوصًا فى الفترة الأخيرة من حكمها وإصلاح ما أفسدته..

كانت قد أدركت أن انفعالها المستمر وتصريحاتها العنيفة توشك أن تكلفها كرسى الوزراء، ومن هنا، فقد راحت تعيد النظر فى سياستها ومواقفها، فراحت تهادن وسائل الإعلام التى نالت منها كثيرًا، وتتأنى أكثر قبل أن تنطلق الصيحات العالية التى تنتقد بها هذا أو ذاك، بل راحت تستمع إلى نصائح الصحف لها بصمت كيلا ترتكب فى ردها أخطاء أخرى...

غير أن ذلك كله لم ينقذها من السقوط..

فالحزب الاشـتراكى الذى انتمت إليه كان قد وصل إلى أقصى هزيمة له حين لم يحصل فى الجولة الأخيرة للانتخابات المحلية على أكثر من (١٨ فى المائة من الأصوات) فى حين حصلت أحزاب اليمين المعارضة على نسبة أكثر من ذلك بكثير، بل إنه فى استطلاع للرأى أجرته وكالة فرنسـية قبل سـقوط كريسون بقرابة عشـرة أيام جاءت النتائج أن غالبية كثيرة تصل إلى ٦٠ فى المائة تطالب بتغيير كريسون.

وعلى ذلك، بدا واضحًا أن الرئيس ميتران الذى جاء بكريسون لابد أن يعلن عن ذهابها..

لقد أصبحت المرأة وحدها فجأة..

لم ينفعهـا تراجعهـا الأخير حين حاولت اسـترضاء الجميع بعد أن خسـرت الجميع، فإذا بالجميع يطالبون باستقالتها، كانت المرأة هى المسئولة عن سقوطها السياسى، لقد أطلقت الأنثى لسانها العنان فانتصرت على رئيسة الوزراء..

لقد خسرت رئاسة الوزراء لكنها لم تخسر كونها امرأة.. لقد تركت السياسة: وعادت لتنكمش على جنسها الأنثوى، وتنتظر أن يطلق عليها الرئيس ميتران رصاصة الرحمة.. وأطلقها..

مع هذا، يظهر سؤال: هل أقيلت كريسون حقًا لكونها أنثى؟ بمعنى: هل ردود أفعالها تجاه قضايا سياسـية كانت أنثوية خالصة لا ترتبط بالخط السياسـى العام لفرنسـا..؟ أو أن السياسى لا ينفصل عن الذاتى؟ أو السياسى قبل الذاتى؟

ثانيًا: الوزيرة

أديث كريسون التى أقيلت كرئيسة وزراء فرنسا تترك وراءها علامة تعجب لا تلبث أن تتحول إلى سؤال غامض:

هل أقيلت لكونها امرأة مشاكسـة أطلق عليها اسـم «المرأة النارية»؟ أو لكونها رئيسـة وزراء غير موفقة؟

هل السبب هو تكوين الأنثى أم أخطاء السياسى؟

هـذا كلام أثير كثيرًا ويحتاج إلى شـرح، فلنشـرح، ولنطرح نموذج الوجـه القبيح فى الغرب المعاصر..

فـى الكتاب الوحيـد الذى تركته، والذى كتبته قبل تولى رئاسـة الوزارة، سـوف نجد هذا التمرد على واقعها لكن، أيضًا، هذا الوعى بالواقع السياسى الذى يمر به المجتمع الفرنسى فى آن واحد.

يؤكد كتاب (مع الشمس) أنها تأثرت كثيرًا بالميل السياسى لأبيها، فقد كان الأب ينتمى إلى اليسـار، فراحت تميل إلى الفكر الاشـتراكى وتعبر عنه بالموقف أو التوجه العملى، فى حين أن

تمردها بدأ مع أمها فى المواقف العادية، وهى تعبر عن تكوينها المبكر حين تقول: «أوصتنى أمى لعمل كذا وعملت العكس».

حين طلبت الأم من ابنتها أن تتزوج، ابتعدت هذه الأخيرة عنها لتنغمس – أكثر – فى العمل السياسى، تنتقل من بلد إلى آخر، تمارس الفكر السياسى وتغرق فى التنظيم، فى هذا الوقت تلتقى بالرجل الذى تتزوج منه.

وهذا يشير إلى أمر هام، هو أن ارتباطها الأساسى كان بالأب أكثر منه بالأم، ولا يخفى ذلك عقدة (إليكترا)، بقدر ما يخفى اعتدادًا فى الرأى والاستقلال والطموح إلى تحقيق الحلم السياسى والعمل له.

أضف إلى هذا أن تربيتها لم تخل من ترف، وعلى رغم ذلك، فإنها راحت تميل إلى اليسار، ولم تتخل عن هذا الميل، ومن هذا المنطلق، راحت تنتزع منصب رئيس بلدية مدينة «شاتلرو» ووصلت بعدها إلى منصب الوزيرة، وزيرة الزراعة فى إبان حكم الرئيس ميتران.

وهذا كله يعنى، أن كريسون، وإن لم تستطع أن تتخلص من تكوينها الأنثوى، وهى طبيعة الأشياء، فإنها أخضعت تكوينها لطموحها، فأصبحت وزيرة، وهو ما ينم عن شخصية قوية، وهو ما يشير إلى نضج الوعى السياسى فى إطار الواقع وليس فى إطار التكوين البيولوجى وحده.

وعلى هذا النحو، نكون قد وصلنا إلى نتيجة هامة، هى، أنه لا يمكن أن يكون لتكوينها النسائى دور كبير فى تصريحاتها العلنية؛ ففى الظاهر تبدو هذه التصريحات عفوية، تمليها الطبيعة النسائية، غير أنه، فى الواقع، فإن (المسئولة) فى وزيرة لا يمكن أن تخضع لتكوين ذاتى أكثر منه رسمى، وهو ما يصلح كمدخل لفهم مواقفها فى إطار سياسى عام وليس ذاتيًا قط.

وسوف لا نستعجل الأمر أكثر من ذلك، وإنما سوف نرى خلال توليها مسئولية الوزارة، كيف أن تصريحاتها أو مواقفها لم ترتبط بالتكوين الفيزيقى أكثر من ارتباطها بالاستراتيجية العليا للدولة.

وفى هذا الإطار، سوف يكون واضحًا لنا أن موقفها من العرب إبان أزمة الخليج إنما لا ينفصل عن موقفها من الآخرين سواء أكانوا من اليابانيين أم الألمان أو الأمريكيين أو غيرهم من الغربيين.

لقد بدت السياسة الفرنسية من العرب حينئذ – ومنذ البداية – تميل إلى بغداد ولم يلبث الموقف أن اتسم بالتردد الشديد، وانتهى إلى الانضمام الصريح للأمريكيين قادة التحالف ضد العراق، ومراجعة أحداث هذه الفترة يمنحنا قناعة مؤداها، أن قصر «الإليزيه» تحول منذ بدايات يناير بوجه خاص إلى الجانب الغربى فى وضوح شديد، وهو موقف اتسم بالبرجماتية الذاتية أكثر منه للمبادئ العامة.

وباستعادة عديد من مواقف فرنسا الرسمية سوف نتأكد أن موقفها من اليابانيين – فى عهد كريسون – لا يبتعد كثيرًا عن موقفها من العرب. ولنتوقف أكثر عند الموقف من اليابان قبل أن نعود إلى العرب..

إن طبيعة رئيسة الوزراء النارية لم تفارق موقف السياسة الفرنسية فى النظر إلى الشرق كله؛ إذ لم تستطع أن تخفى قلقها الشديد من الصناعة اليابانية التى هددت الاقتصاد الفرنسى كله، وخاصة فى مجال السيارات وآلات التصوير والتليفزيونات وأجهزة التسجيل.. إلى غير ذلك، وقارئ الكتاب (البيان) «اليابان يمكنها أن تقول لا» يستطيع أن يلحظ فيه نبرة التحدى من رجال الأعمال والمسئولين اليابانيين للغرب كله وليس الولايات المتحدة الأمريكية وحدها [صدر لأول مرة عام ١٩٨٩ لاكيوموريتا وشنتاروا يشيارا رئيس مجلس إدارة ومدير عام شركة «سونى»، وروائى ياباني سياسى ومعروف ونشر هذا الكتاب (البيان) فى العالم الغربى كله بسرعة البرق..] وتعج الصحف والكتب اليابانية من سنوات حول الخطر الياباني، وبدأ مصطلح مثل (الاستعمار الياباني) يتردد فى الغرب كثيرًا. وقد لاحظت صحيفة مثل «هيرالدتريبيون» فى ٢/ ٥/ ١٩٩١ أن عبارة: (ضرائب بدون اشتراك فى الحرب) حجة تتردد فى اليابان ترد بها على المطالب الأمريكية بتقديم المزيد والمزيد من الأموال لدعم دول التحالف فى أزمة الخليج مما يشير إلى أن طموح اليابان الاقتصادى إنما يعكس طموحًا سياسيًّا عالميًّا..

ومن الطبيعى أن نلاحظ أن فرنسا – كبقية البلاد الغربية – تسعى إلى التخلص من القبضة اليابانية (كما تفعل الولايات المتحدة تحديدًا) فى حين أن القوى اليابانية لا تتراجع بسبب سيطرتها الاقتصادية المستمرة.

الحملة الصليبية :

ولا نحتاج لجهد كبير لنفهم موقف كريسون من العرب، خاصة أن هذا الموقف ارتبط شكليًّا بأزمة الخليج، فى حين أنه ارتبط مرجعيًّا بالوطن العربى كله، وهنا، نستعيد موقف فرنسا من العرب إبان هذه الأزمة.

لقد بدا الهجوم على اليابان أشبه (بالحملة الصليبية) التى اتفقت فى كثير من دوافعها مع الحملات الصليبية التى كانت قد جاءت من الغرب المسيحى فى العصور الوسطى إلى الشرق..

وبدا الموقف الغربى من الآخر الشرق العربى معاديا للعرب معاداة تامة، خاصة وأن دواعى هذا الموقف يمكن أن تتشابه الآن مع مثيلاتها قبل ذلك، فهذا هو الصراع الاقتصادى يمثل الدافع الأول للصراع (فى حالة اليابان التقدم التكنولوجى، وفى حالة الوطن العربى التقدم الاقتصادى ممثلا فى البترول واستثماراته)..

وعبورا فوق الغزو العراقى للكويت (وهو لم يمتلك وعيًا بسيطًا بالمفردات العالمية الجديدة بعد انتهاء الحرب الباردة وتعاظم الأهداف الأمريكية.. إلخ). فإننا يمكننا القول أن موقف كريسون من اليابان هو هو موقف كريسون من العرب.

إن صدام حسين لم يكن غير ذريعة لدى الحلفاء (التى كانت فرنسا عضوا نشطًا بينهم) للعودة إلى البترول والاستثمارات والموقف الاستراتيجى لتأكيد أحلام الغرب، إن صدام حسين لدى كريسون (أو تاتشر وميجور أو بوش) لا يمكن أن يكون بعد أن أقدم على حماقته أكثر من هتلر (نذكر أن هذا الاسم «هتلر» أطلق فى الغرب على صدام وعلى اليابان فى وقت متقارب وكان صاحب التسمية هذه كريسون) – وبالتالى، فإن الغرب الآن لا يمكن أن يسمح بوجود «نموذج يابانى» آخر فى هذا الشرق، وخاصة أن هذا النموذج – على العكس من اليابان – كان مدججًا بالسلاح أيضًا.

أضف إلى ذلك كله أن موقف فرنسا كان مناهضًا للعرب، وحسبنا أن نذكر فى هذا الصدد أن موقف ميتران (رئيس الجمهورية الفرنسية وصاحب اختيار كريسون) كان وزيرًا للداخلية أثناء الحرب الفرنسية الجزائرية، وكان ضد الكفاح الجزائرى، وأمر أن يقدم للمحاكمة كل من يردد بأن الجزائر عربية، وكان لا يرى أن مواجهة الجزائر لا تكون بغير طريق واحد، هو الحرب.

ونجدنا مرة أخرى فى موقف للعودة إلى ما كان يتردد إبان حرب الخليج حين كانت تهاجم اليابان فتصفها كريسون صراحة بأنها تسعى إلى ما يسعى إليه صاحب كتاب (كفاحى) وبذلك راحت تقرن اليابان بهتلر، وهو ما يذكرنا بالرسالة التى قدمها مفكر إلى الاشتراكيين الفرنسيين الذين كانوا يتولون الوزارة بواسطة كريسون إبان أزمة الخليج إذ قال «– لقد سمينا، على الدوام، كلا من بن بيلا وعبد الناصر بهتلر.. (و).. أن الغرب يختار من يسميهم بهتلر على هواه ومصالحه.

وبذلك، فإن ذكر صدام حسين واقترانه بمثل هذه الأسماء إنما كان يحمل هاجس تهديد الغرب وإيقاظ المشاعر الاستعمارية القديمة.

الغرب ضد الغرب :

الأكثر من هذا أن الغرب فى مواجهة الشرق بدا فى كثير من الأحيان ضد نفسه، وذلك يحدث حين تتصادم الإرادات الاستعمارية أو المصلحية بين دولة وأخرى.

لقد راحت كريسون تعلن – بشكل بدا أيضًا عفويًا ومثيرًا – «أن الرجال البريطانيين والألمان والأمريكيين يميلون إلى الشذوذ الجنسى».. إلخ.

والواقع أن الموقف الفرنسى هذه المرة كان يحمل التمرد على ذاته، فمع أن الاقتصاد الفرنسى يمثل رابع أضخم اقتصاد فى العالم فإنه كان يقف فى المرتبة الخامسة عشرة بالنسبة إلى المنافسة مع الغرب.

وهذا الموقف يقترب من التناقض مع الغير والاتساق مع النفس..

غير أن هذا الموقف هو الذى كان يمكن أن يفسر به التردد الذى كانت تبدو به سياسة قصر (الإليزيه)، لقد بدا هذا التردد فى الأزمة اليوغسلافية، وفى انهيار الاتحاد السوفيتى، وفى توحيد الألمانيتين، وفى الانقلاب على جورباتشوف، غير أنه كان يبدو أكثر وضوحًا فى أزمة الخليج الأخير، ففى بداية الأزمة – كما يلاحظ محمد حسنين هيكل فى كتابه عن «حرب الخليج» كان التأثير الواضح على دور باريس هو التأثير التقليدى للدبلوماسية الفرنسية التى كانت ترى أن تحتفظ لفرنسا بموقفها على مسافة ما من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، وأن ذلك أدعى إلى تحقيق المصالح الفرنسية الاقتصادية العسكرية فى المنطقة – وكان من تصورات الدبلوماسية الفرنسية أن الأزمة ربما تحل بغير حرب لأن بغداد لن تواصل تحديها إلى ما لا نهاية، بل إنها لابد أن تتوقف عند مرحلة منه وأن تستعمل اتصالات طرف نافذ فى الغرب. وفرنسا هى المرشحة لهذا الدور، وإن وسائل هذا الدور متاحة أمام قصر الإليزيه، غير أنه حين بدت الحرب وأن حجم التعاقدات والمشروعات بعد الحرب ستكون أكبر، تحول التردد بسرعة إلى تأييد الأمريكيين(*)..

لقد أكدوا الولاء لبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية.. وهنا بدا موقف ميتران موقفًا براجماتيًا خالصا!!

وتحول الحزب الاشتراكى الفرنسى إلى رصيد جديد لسياسة الغرب التقليدية ضد الشرق، وبدا الاشتراكيون الحاكمون فى فرنسا منحازين تمامًا إلى صف اليمين الغربى الذى اشتد ساعده الآن وتحول من أفكار الحضارة الغربية ومبادئها إلى الطريق الآخر، طريق الاستعمار والعنصرية.

لقد وقف الغرب ضد الشرق، وتحولت كل الأحزاب اليسارية والاشتراكية إلى صف اليمين العنصرى..

ولم يعد يجدى الآن أن نتحدث عن أفكار تحريرية أو اشتراكية، وإنما عن قرن جديد آت، يطمح فيه الغرب أن يكون هو (قرن الغرب)..

* * *

وهنا نستطيع أن نفهم تصريحات أديث كريسون: المرأة ورئيسة الحكومة، يتمزق القناع وظهور الوجه الحقيقى الغربى الوجه القبيح.

(*) هذه السياسة (النفعية) الخالصة نجدها منذ فترة مبكرة فى أزمة الجزائر الأخيرة، إذ كانت هناك مفاوضات سرية تجرى فى الجزائر العاصمة، بين فرانسوا شير (استقال مع قضية جورج حبش) وبعض القادة الإسلاميين فى (الجبهة الإسلامية) للإنقاذ، وما إن أعلنت نتائج الاقتراع الأول حتى استعجل جاك دولور بالتصريح: «لماذا لا نتعاون مع الجبهة؟! أمورنا تسير جيدًا مع العربية السعودية؟».. وهنا رواية جاءت على لسان رشيد بو صبرة فى إحدى حواراته، انظر السفير ١٨/ ٤/ ١٩٩٢.

المراجع

تشـير العديد من المراجع إلى اديث كريسـون، وهذا النمط يقدم شـخصيتها بهذا الشكل على سبيل المثال الذى يتكرر كثيرا:

«ولدت اديث كريسـون لعائلة باريسـية ميسـورة عام ١٩٣٤، وتعلمت اللغة اللإنكليزية عن طريق مربيتها البريطانية. وأثناء نضوجها أدارت ظهرها للسياسـات المحافظة للطبقات الوسطى الفرنسية لضجرها من معالم هذه الطبقات.

انضمت لعضوية الحزب الاشتراكى الفرنسى، وعملت فى حكومة بيير موروى كوزيرة للزراعة خلال الفترة من ١٩٨١ حتى ١٩٨٣، ثم وزيرة للتجارة والسـياحة خلال الفترة من ١٩٨٣ حتى ١٩٨٤. ووزيـرة للتجـارة الخارجيـة والتنمية خلال الفترة من ١٩٨٤ حتـى ١٩٨٦ وعندما عاد الاشتراكيون للسلطة عام ١٩٨٨ سماها ميشيل روكار وزيرة للشئون الأوروبية، لكنها استقالت بعد عامين بعد أن شككت فى جدوى سياسات روكار المتعلقة بالاقتصاد والشئون الخارجية.

وخلال هذه الفترة اكتسـبت كريسـون رصيدا كممثل للجناح اليسارى للحزب الاشتراكى فى الحكومة. ونتيجة لذلك اختارها الرئيس الفرنسـى الراحل فرانسـوا ميتران فى الخامس عشر من آيار (مايو) ١٩٩١ لرئاسـة الحكومة. الأمر الذى آثار دهشـة الرأى العام. وكانت تلك هى المرة الأولى التى تشغل فيها سيدة منصب رئيس الوزراء فى تاريخ فرنسا. ولكنها اجبرت على الاستقالة فى إبريل (نيسـان) عام ١٩٩٢ بعد مواجهتها سـيل الانتقادات العامة الحادة للساسة والانزعاج من الإدارة الاشتراكية.

عملت عام ١٩٩٥ كعضو فى اللجنة الأوروبية مسئولة عن البحث والعلوم والتطور، لكن إدارتها لنفقـات الميزانيـة قد آثارت عليها الاعتراضات وجعلتها عرضـة للانتقادات الداخلية. وفى ١٦ آذار (مارس) عام ١٩٩٩ استقالت من منصبها هى وكامل أعضاء اللجنة الأوروبية. واستمرت فى تصريف الأعمال حتى تنصيب اللجنة الجديدة برئاسة روماتو برودى فى آيار (مايو) ١٩٩٩.

وقد وجدت اديث كريسـون، التى هبطت شـعبيتها إلى أعماق جديدة فى بداية التسـعينات من القرن الماضى عندما عينت رئيسـة للوزراء، نفسـها وسط أزمة تزوير تتعلق بالاتحاد الأوروبى وذكـرت لجنـة كلفت بإجراء تحقيق فـى المخالفات أن عضو اللجنـة الأوروبية قد اخفقت فى الاستجابة للمخالفات المعروفة والخطيرة والمستمرة عبر سنوات عدة:

- http.//www.aawsat. com/details.asp?
- http://www.almotamar.net/news
- http://www.azzaman.com/azz/articles
- http://www.iraqcp.org.htm
- http://www.alhayat-j.com/details.shp